

أطروحة من أجل حداثة عربية بالتربية في فكر طه حسين  
*The Modernist Project in Contemporary Arab Education*  
*-A Reading from Taha Hussein's Perspective-*

أحمد ناشف AHMED NACHEF \*

جامعة الجزائر2-أبو القاسم سعد الله- الجزائر

[ahmed.nachef@univ-alger2.dz](mailto:ahmed.nachef@univ-alger2.dz)

ORCID: [0009-0000-8077-6922](https://orcid.org/0009-0000-8077-6922)

DOI: [10.46315/1714-014-002-004](https://doi.org/10.46315/1714-014-002-004)

الإرسال: 2025/02/03 القبول: 2025/05/20 النشر: 2025/06/16

\*\*

ملخص:

في هذه الورقة، ارتأيت البحث في التربية العربية المعاصرة، من بوابة أحد أهم المفكرين العرب الذين يمثلون الجيل الجديد بالنسبة للحدثة والاتصال بها، ألا وهو المفكر، والاديب المصري طه حسين، ولم يكن من بد الإطلاع على كل منجزه الفكري، وإنما ركزت على الطرح التربوي الذي يقدمه، خاصة من خلال كتابه مستقبل الثقافة في مصر، عندما حاول تقديم رؤيته الخاصة للتربية والتعليم، وبالتالي توجهاً في الثقافة جديد بالنظر إلى الوضع التقليدي الذي ظل يوطر المدرسة العربية، مقارنة بالانطلاقة التي شهدتها الغرب في كل المناحي بناءً على فلسفة حداثة جديدة، خاصة وأن طه حسين يكون قد تأثر وعاش الوضع العربي المشرقي والأوروبي.

كلمات مفتاحية: طه حسين؛ الثقافة؛ التربية؛ الحدثة؛ الفكر التربوي

Abstract:

In this paper, I decided to research contemporary Arab education, from the perspective of one of the most important Arab thinkers who represent the new generation regarding modernity and its connection to it, which is the Egyptian thinker and writer Taha Hussein. It was not necessary to review all of his intellectual achievements, but rather I focused on the educational proposal that he presents, especially through his book *The Future of Culture in Egypt*, when he tried to present his own vision of education. Consequently, a new trend in culture, given the traditional situation that continued to frame the Arab school, compared to the breakthrough that the West witnessed in all aspects, based on a new modernist philosophy, especially since Taha Hussein lived the Arab situation and was influenced by European modernity.

**Keywords:** Taha Hussein ; Culture; Education; Modernity; Thinker education

\*\*

## 1- مقدمة:

البحث في التغيير الحضاري يستدعي الاطلاع على رواد هذا التغيير، والذي في الغالب يأتي من نهاء مستنيرين، وتلك مسؤولية مزدوجة يفرضها الوعي البشري، أكثر منه قوانين المجتمع، التي في الغالب تكون راكدة مقلدة حتى يأتي أحد متميز يسائلها، ويخرجها من سباتها. وفي وضع مماثل يجد المفكر العربي المعاصر نفسه مأزوم الحال، عندما يصطدم بالغرب الحدائي مقابل التراث، الذي انقطع عنه، وبحاجة هو الآخر لإعادة تمحيصه، وبعثه من جديد، غير أنه لا العصر ولا طبيعة التحولات تسمح بذلك، خاصة في ظل تسارع التطور الحاصل من الحدائفة إلى ما بعد الحدائفة إلى العولمة. ولم يجد المفكر العربي أمامه سوى الفلسفة الغربية والمناهج الحديثة والمعاصرة، ليعمل على استنساخها أو تقليدها، أو بالأحرى تكييفها رغم صعوبة المهمة. وهذا لا ينقص من إجتهدهم في شيء، كون الفكر يصقل بعضه بعضا، والأصل فيه هو الاستمرارية والتوجه في التفكير .

وفي هذا السياق تأتي هذه الورقة كمحاولة لإلقاء نظرة فاحصة لأحدى المشاريع الفكرية، والتربوية، والسياسية، في الآن ذاته، وهو مشروع طه حسين لإصلاح التربية والتعليم في مصر، والواقع أن البحث في التربية العربية لا يختلف عن البحوث الأخرى كونها كلها تخضع لمؤشر التفكير العربي، أو الوضع الحضاري مقارنة بالشعوب الأخرى، وهو وضع متأخر عن زمنه بالنظر إلى الحدائفة الأوروبية، ولكنه ينتمي إلى إرث حضاري وقيمي مميز، والمسألة هنا تكمن في مفاتيح الإقلاع الحضاري في كل المجالات. في الفكر والتربية والثقافة، والإبداع.

هذا المشروع التربوي الذي قدمه طه حسين، الأديب الفذ، بكل جرأة، من خلال مؤلفاته، ونشاطه العلمي، والأدبي، وممارسته النقدية التي أدخلها إلى العقل العربي. حيث تميّز في مجال الأدب، والفكر، والسياسة، والتاريخ، عندما أفاد من المنهج الديكارتي (الشك المنهجي)، ولم يبق مجرد قارئ له، فمنذ اطلاعه على الفلسفة الغربية، خاصة الفرنسية وتأثره بديكارت وفلسفته، وبضرورة التمثل والافتداء بالحضارة الأوروبية وعقلانيتها، وهو موقف فكري شجاع بغض النظر عن تبعاته الحضارية، والانتقادات التي سوف يواجهها "طه حسين" من طرف تيارات مختلفة، سواء تلك التيارات الدينية المحافظة والمنغلقة، أو التوجهات الفكرية المخالفة له، والتساؤل الأكثر إلحاحا في هذا السياق هو: ما المشروع الفكري والتربوي الذي أراد طه حسين تأسيسه في العالم العربي ويكون التعليم بوابته؟ وهل هو مجرد دعوة إلى تبني توجه فكري أوروبي؟ وبالتالي إلى تقليد نمط تربوي

### حضاري ولد في سياق مختلف؟

هذه الأسئلة لا تعني أنه سوف أحاكم طه حسين، بقدر ما أريد وضع القارئ في السياق الفكري للموضوع، معتمدا على منهج فلسفي تحليلي، خاصة وأن موضوع التربية العربية لم يجد ضالته الفكرية بعد، وبالتالي يكون الطرح قراءة في منظور فكري من زاوية الرؤية التجديدية أكثر منه التركيز على الخلافات البينية والإيديولوجية.

## 1- في طبيعة المشروع الفكري والحضارية :

تأثر طه حسين بالعقلانية الغربية وراح يمارس خلخلة في العقول الأدبية المتكلسة، بالاستناد إلى فلسفة الشك المنهجي، فرفض وشكك في مسلمات القدماء العقلية والتاريخية الموروثة، وضرورة تغييرها بالمعايير والمناهج الغربية الحديثة، مستعملاً في ذلك النقد التاريخي الحديث، وأدوات البحث العلمي، والتفكير العقلاني عوض الاستسلام للتقليد، والتقدير والتقبل دون تمحيص، وهو ما عبر عنه صراحة قائلاً "سأسلك في هذا النحو من البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة، فيما يتناولون من العلم والفلسفة، أريد أن أصطنع هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه "ديكارت" للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر" (طه حسين (1977) ص 66.67).

وهذه دعوة إلى ضرورة تبني المنهج الديكارتي العقلاني الذي أصبح يؤطر الانسان الأوروبي الحديث، فالمنهج لا يركز على أي من المعارف التراثية السابقة ولا على الأحكام المسبقة أو التفكير الخرافي، واللاهوتي، الذي سيطر طيلة قرون على العقل الأوروبي، ويمكن القول أن طه حسين، لا يرغب في الاستنساخ بقدر ما ينظر إلى الأمر من منظور إبستيمي للمعرفة البشرية، ذلك لأن العقل واحد لدى جميع البشر، حسب افتتاحية مؤلف مقالة في الطريقة، وتبقى مسألة استعماله تختلف من شخص لآخر ومن مجتمع لآخر حسب درجة العقلانية ومنهج التفكير. فالمسألة إذن تتعلق بترويض لا بتقليد، ولكن كيف؟

إنّ القاعدة الأساسية لهذا المنهج تتمثل في التوجه نحو موضوع البحث دون أحكام مسبقة، فيكون العقل وحده على استعداد تام لدراسته وفق قواعده المحددة، والتي هي واحدة لدى كل العقول، ورغم السخط الذي قابله ديكارت، وعديد العقلانيين بعده من طرف الدوغمائيين، وورثة التراث القديم جراء الدعوة الصريحة إلى العقلانية، ورفض الاستعمال السيء الذي طال المنطق الأرسطي، إلا أنّ المنهج العقلي كان من أخصب المناهج في العصر الحديث، حتى أطلق عليه بأبو الفلسفة الحديثة. (Ghazzali. Lahouri. (2021) p. 40.41)

وبعدما كان كل إنتاج فكري يخضع لتقويم تراثي وغريلة لاهوتية، أصبح العقل هو الحاكم الفعلي للمعرفة والتفكير، عن طريق الشك والنقد، كل شيء يخضع للنقد والفحص العقلي (صالح هاشم، 2010، ص 50) وديكارت جعل من العقل هو الأساس في كل ما يعترضه في المعرفة والعلم والقيم، ولما كان الناس متفاوتون في إستعماله فإنه لا بد من المنهج الذي أشار إليه في مقالة في الطريقة.

يقدم لنا "طه حسين" مقارنته التاريخية والحضارية، بمنهج نقدي تاريخي يعمل بشكل مزدوج من جهة إلى إقناع الخصوم المحتملين وهم كثر، أو تقريب الرؤيا إلى الأفهام وتوضيح مشروعه الفكري، لقد كان عملاً مضني، إنّه لا فرق في رأيه بين اتصال المسيحية مع العقل اليوناني، وما أنتجتة في

العقل الأوربي الحديث. واتصال الإسلام بالفلسفة اليونانية، وضرورة حدوث التفاعل والإخصاب، وهذا ما حدث فعلاً في الحضارة الإسلامية، في المقابل حدث كذلك تلاقح في الحضارة الأوروبية في اتصالها مع الفلسفة اليونانية (Ghazzalim Lahouri, (2021) p. 45)

لكن يبدو أن طه حسين هنا مأخوذ بفكرة حياد الفلسفة اليونانية، وأنها تقدم عقلاً خصباً عن طريق ما يسميه بالنقد، غير أنه يغفل إلى حد ما تلك الضرورة التاريخية بين العقل الإسلامي والعقل الأوروبي، الذي أخذ الفلسفة عن الحضارة الإسلامية بشكلها المنتقى والمنهجي. ويكون السؤال هنا هو؛ هل يمكن أن يحدث إخصاب حقيقي آخر للعقل العربي الإسلامي مثل ما حدث العقل الأوروبي الحديث؟

ولكي يقنع مواطنيه بهذا المشروع يقول "لا ينبغي أن يفهم المصري أن بينه وبين الأوربي فرقا عقلياً قوياً أو ضعيفاً، ولا ينبغي أن يفهم المصري أن الشرق الذي ذكره "ليبليج" في بيته المشهور الشرق شرق، والغرب غرب ولن يلتقيا. يصدق عليه أو على وطنه العزيز، ... وإنّما كانت مصر دائماً جزءاً من أوروبا في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية، على اختلاف فروعها وألوانها". (طه حسين، (1996)، ص 35).

وبذلك يتضح جلياً أن طه حسين لا يجد أي حرج في الاعتماد المطلق على المنهج والعقل الغربي الحديث، الذي يراه النموذج الأرقى في وضعه الراهن على الأقل، وبالتالي يدعو من منطلق المضطلع إلى الأخذ بالأسباب ومنها الحضارة الغربية ووسائلها الناجحة، ثم أنه ليس في وضع الناقد للغرب، بقدر ما هو مستعجل في الأخذ، لاعتبارات حضارية.

## 2-التحديث بالتربية والتعليم:

من الأمور غير المسبوقة التي جاء بها طه حسين، هي زعزعة اليقينيّات، التي كانت سائدة، وتحريك عجلة الممارسة النقدية، والتشكيك في اليقينيّات، من خلال كتاباته الأدبية، مثل الشعر الجاهلي، حيث نجده يستعمل المنهج النقدي التاريخي ذاته، في كتاب "مستقبل الثقافة في مصر" عندما يقدم لمشروعه التربوي، غير أنه في هذا الأخير لا يتوقف عند حد المقاربة النقدية، بل يقترح مشروع تربوي متميز عن ما سبق، وهو بالأحرى عمل علمي وبيداغوجي قدمه آنذاك كتوصية لوزارة التربية والتعليم عندما كلف بذلك ويهدف إلى أمرين:

أولاً: على المستوى العام يدعو من جهة إلى إقرار تربية مدنية حديثة متأثراً بالمدرسة الفرنسية. ويهدف من ناحية ثانية: إلى تخريج نخبة من قادة الفكر، في المجتمع المصري، أو ما يسميهم بالقادة "المستنيرين" تلك الكلمة التي يرددها "طه حسين"، وهي كلمة "أنوارية" المنشأ.

يقترح طه حسين في القسم الأول من هذا المشروع والتي تمحورت "حول مسألة التعليم"، جملة من التدابير والأفكار الجوهرية منها أولاً؛ التعليم ومجانيته، وهو المبدأ عند "طه حسين" ومنطلق

وجوهر الديمقراطية، لأنه يتيح تعليماً للجميع في إطار من المساواة في الفرص في التعليم ومخرجاته، ورغبة منه في توحيد التعليم داخل الدولة الوطنية.

ويدعو من جهة ثانية إلى توحيد المدرسة الوطنية، وذلك بإلغاء فوارق التكوين بين كل أنواع التعليم المعروضة في مصر، سواء تعليم رسمي حكومي أو ديني أهلي، وتعليم خاص، وتعليم أجنبي، ويهدف التوحيد هنا إلى خلق نخبة مصرية منسجمة ومتوافقة مع العصر من ناحية، ثم إسناد مهمة ومسؤولية التعليم إلى الدولة الوطنية، وذلك بتأسيس المدارس الوطنية الموحدة، والقيام بمهمة مراقبة التعليم غير الرسمي حتى لا يكون هناك تعارض مع ما يصبو إليه المشروع التربوي الوطني.

أما بالنسبة للجامعة فمطلوب منها أن تحافظ على استقلاليتها عن الدولة بوصفها المكان الذي يفكر وينتج المعرفة، بما يضمن لها حرية المعرفة والبحث العلمي، على غرار ما تحقق في أوروبا الأنوارية، عندما دعا مفكرو الأنوار إلى استقلالية الجامعة، واستقلالية الفلسفة خاصة، فهي معقل الأفكار، وتلاقحها، والعقل المدبر للأمة ومكونها البشري. في هذا الإطار يكون سؤال "طه حسين" هو ذاته سؤال معظم الحداثيين العرب حول لماذا تخلف الشرق عن الغرب؟

إنه السؤال المرح الذي طرحه هؤلاء المفكرون عندما اصطدموا بالحداثة، وأرجعوا السبب إلى طبيعة النظام السياسي، فهو نظام استبدادي، وهنا تقع لب المشكلة والإشكالية، في نظرهم، ومبدأ كل إصلاح مستقبلي، والمطلوب إذاً هو تحويل النظام الاستبدادي المطلق إلى نظام يحكمه دستور ينظم الجميع، ويلتزم به الحاكم، لكن العقبات ليست فقط في حاكم مستبد، الذي لا يتوانى في صناعة العجز للحفاظ على الاستقرار في وضع متخلف، وإنما المشكلة في استمرار جهل رعاياه أنفسهم، الذين ليس بمقدورهم الانتقال من مستوى الرعية إلى مستوى المواطنة، وممارسة حقوقهم المشروعة، ومشاركتهم الديمقراطية الفاعلة، لا بد إذاً من تربية وطنية مقصودة لتهيئة وصناعة المواطن.

ومصر في نظر طه حسين ليس لها من بد أن تدخل العالم الحديث، إلا من بوابة تمثل قيم الديمقراطية، بالاستناد على التجربة الديمقراطية الليبرالية في أوروبا، وهو النموذج الذي يعتبر ناجحاً وجاهزاً على الأقل، والسؤال كيف يتأتى ذلك؟ إنه المسلك التربوي الذي به يمكن صناعة جيل مستنير يقود الأمة ويغرس فيها دعائم الديمقراطية والاعتدال (علي أو مليل (1985)، ص 127). ويتجه في رسالته إلى الفائتين على شأن الدولة؛ المعنونة "مستقبل الثقافة في مصر" إتجاهاً مناهضاً للتقليد السائد في الثقافة العربية، يرى فيه؛ أنه لا توجد صلة بين العقل المصري والعقل الشرقي، فالعقل المصري في حربه لم يتصل بعقل الشرق الأقصى اتصالاً ذا خطر، فهو أوروبي التفكير والجغرافيا، ظل ينتهي إلى حوض المتوسط وإلى الثقافة المتوسطية (Magda El-

(Nowieemy, 2016, p13). وأنه لم يكن في سلم ووثام مع العقل الفارسي، وإنما عاش عيشة صراع وتخالف في الفكر والانتماء، غير أنه-العقل المصري- اتصل اتصالاً منتظماً مع شعوب الشرق القريب، فأثر في حياتها وتأثر بها، كما كان له ولا يزال اتصال بالفكر اليوناني منذ العصور الأولى، في إطار من التعاون الحضاري والتبادل الثقافي، وفي الشأن السياسي، الفني، والاقتصادي. (طه حسين، 1996). ص 20).

وسوف يواجه طه حسين بهذا الطرح الكثير من الانتقادات اللاذعة، خاصة في فكرة أن مصر أوروبية، أو يجب تتحور لكي تكون كذلك، وهنا لا يجد جورج طرابيشي مثلاً أي مبرر لهذا الدعوة المقلدة، والماسخة للحضارة والتاريخ المصري السابق للغرب، وأن التحديث في رأيه لا ينبغي أن ينطلق من قاعدة إنسلاخية، وإنما أن نجدد وندرس تراثنا ونتصل به، لكي نجدد ما يمكن تجديده، وليس الانفصال عنه نهائياً. (طرابيشي جورج، 2010، ص 59)

وفي هذا السياق يعترض على نعت الاستشراق في مصر، فهي -مصر- ليست كباقي الأمم في الشرق ولم تكن تنتهي إليه من حيث الجغرافيا، أي أنها كانت فاعلة ومؤثرة ومتأثرة مثلها مثل الحضارة اليونانية، لهذا لا يجد "طه حسين" إشكالا بالقول على أن مصر لم تكن شرقية، وإنما هي في منظوره جزء لا يتجزأ من أوروبا، في كل ما يتصل بالجوانب الفكرية والثقافية والفنية على اختلافها وتنوعها، وهنا يظهر طه حسين ناقماً من الوضع الحضاري لمصر، كونه لا يريد لها أن تبقى في وضع مماثل من جهة، وأنها تاريخياً لا يسمح لها أن تكون كذلك (طه حسين، 1987). ص 27)

ولعل هذا الاعتبار هو الذي دعاه إلى ضرورة إقامة الدولة الوطنية، والتي يرى فيها الحل الأمثل لكل مشاكل الإنسان المصري، يكون الحكم فيه على أساس مدني، والدين مكون ثقافي أكثر منه مصدر للحكم السياسي، وبعبارة أدق العمل بجدية على دفع مصر إلى طريق يصل بها إلى أن "تصبح حكومة لا دينية" (محمد، حسين، 1984)، ج 2، ص 230). وهذه دعوة غير مسبوقه إلى مجتمع لائكي ليس فقط في فلسفة الحكم، ولكن الأمر ذاته ينطبق على التربية، التي سوف يضعها بين أيدي الدولة الوطنية وليس الأشخاص، أو رجال الدين.

ويؤسس طه حسين دعوته هذه على وفق قاعدة تاريخانية متمثلة في التأثير والتأثر، الذي لا بد عنه بين الحضارات والشعوب، فليس توجد حضارة جاءت من لا شيء، فالحياة الأوربية ليست كلها جرم وإنما فيها الكثير من المزايا، فهي تعطي مثالاً للحياة السعيدة والرفاه للإنسان الأوروبي عموماً، ثم أن كل حضارة لها جوانب مشرقة، وفيها نقائص تحتاج للتصحيح المستمر، وحتى الحضارة الإسلامية، لم يأت بها المسلمون من بلاد العرب، وإنما تأثروا ببعضها من اليونان، وبعضها الآخر من حضارة بلاد فارس، وغيرها، لهذا فمن الضروري التماس الحضارة الغربية الحديثة، والأخذ بها، وهو بذلك يشير إلى جزئية يغفل عنها أصحاب الاتجاه المقاطع للغرب ألا وهو نقائص الحضارة مهما كانت قيمها ومثلها فهي معرضة للانحراف وبحاجة إلى التقويم.

إنّ المتأمل في توجه طه حسين يكتشف أنه ظل يفتش من خلال مؤلفاته عن عقلية حضارية متأصلة، كانت سائدة في مصر الحضارة، وبدا له أنها توقفت في عصره، وتمثلت في التعايش والتواصل مع كل الثقافات، بشكل إيجابي وبشخصيتها المستقلة، وبالتالي لا يليق بها الانعزال الثقافي عن الشعوب والثقافات في حوض المتوسط، والتي هي عنصر هام فيه ومنه (Dominique Avon, 2021 P. 6.7)، وعليه يركز بالأخص على عنصر التربية بوصفها مدخلا لكل تغيير مستقبلي سياسي، ديمقراطي، حضاري، وتكون الدولة هي الراعي للتربية والتعليم لضمان ديمقراطيته وعمومية تطبيقه.

### 3-الدولة، الديمقراطية، التعليم:

وفي مسألة التعليم يذهب طه حسين إلى اعتبار أن الدولة هي صاحبة السيادة، وهي التي عليها تحمل مسؤولية التعليم وكل حيثياته، والجديد في الأمر ليس فقط إشراف الدولة عليه، بل كذلك عموميته، ويبدو أنه قرأ لتوه إعلان كوندورسيه عن المدرسة العمومية، ورسالة ما الأنوار؟ ل-إمانويل كانط، وكذلك الحداثة، والتوحيد، والمجانية، بحيث يصبح تعليم وطني قومي بالمفهوم الحديث، وبالتالي تتحمل الدولة مسؤوليته الكاملة بوصفها صاحبة القوة، والراعية للتعليم ومقرراته، وهي المسؤول قبل الأفراد والجماعات عن تكوين الإنسان المصري تكوين يتلائم مع حاجيات الدولة الوطنية الجديدة. (طه حسين، (1996)، ص 54.55)

وبذلك يظهر مدى تأثر "طه حسين" بالعلمانية الغربية ومحاولته الجادة في إقامة التربية على أساس علماني غربي، بل يريد لها صورة طبق الأصل لأوروبا، ذلك أنه لا يخفى لعاقل أن التطور الحاصل في الحياة الإنسانية الحديثة أن الوحدة السياسية لم تعد تقام على وحدة الدين ووحدة اللغة وليست البتة أساسا لتكوين الدول مستندا إلى تأسيس دول خارج هذه المكونات بلغات متعددة وأیان مختلفة.

ويستند هنا إلى توجه المسلمين منذ بداية الممارسة السياسية إلى التعامل وفق منطق المصالح، وخرجوا عن منظور إقامتها على الوحدة الدينية، واللغوية، والجنسية، وذلك قبل أن ينقضي القرن الثاني للهجرة، خاصة عندما كان الصراع على أشده بين الدولة الأموية في الأندلس، والدولة العباسية في العراق.

هكذا تطور المشهد السياسي وسار نحو ممارسة سياسية خارج ما يسمى مكونات الوحدة حتى وصل بهم الأمر إلى ظهور القوميات، والحدود الجغرافية (علي خليل ابو العينين، ص 239)، وعلى الرغم أن طه حسين يبحث عن إقناع خصومه بشتى الحجج، إلا أنه يقيم موازنة غير متكافئة الأطراف، بالنظر إلى طبيعة التركيبة السياسية للعالم الإسلامي آنذاك.

لكنه من جهة أخرى يكون أعطى المسوغ، الذي على أساسه سوف تقام الدولة الوطنية الحديثة، بعيداً عن تحكم القوى التقليدية، في شكلها الديني الأصولي، والتقليدي، التي لا تتأسس على شعار الوحدة فقط، بل كذلك على أسس العقلانية والديمقراطية والتربية. وبذلك فهو يعتبر الدين على أنه مجرد ظاهرة تاريخية، من حيث نظام حكم، وهناك تطور تاريخي ينبغي أن يصل إلى أحدث ما وصل إليه الإنسان من أنظمة، أي الدولة الوطنية الحديثة.

فالمسلمون قد ميزوا في رأيه منذ زمن بعيد إلى أن أحد أهم أسس الحياة الاجتماعية، وهو أن فن السياسة شيء، والتدين شيء آخر، وأن نظام الحكم، والدولة إنما يقوم بمهام أسس دنيوية تديرية بالأساس، ثم أن السياسة هي نوع من الفن أو الصناعة تحتاج إلى التمرس مثل أي فن آخر. وبما أن الديمقراطية هي النموذج الناجح على الأقل في أوروبا اليوم، فانه في نظر طه حسين يتوجب إقرارها بوصفها النموذج الأمثل لتمثله، والعمل بومجبه على ترسيخ الثقافة الديمقراطية.

### 3-1 التغيير الحضاري بالتربية والتعليم:

ذكاء طه حسين تمثل ليس فقط في منهج التغييرين ولكن كذلك طبيعة الطرح، والحلول التي يقترحها، بدت في شكل ساخر أحياناً من خصومه المباشرين، أو المحتملين، لا يطرح الأمور دون ربط، وتحليل، فمبدأ الديمقراطية هذا يتطلب مشروعاً متكاملًا، يبدأ بالتعليم، وينشأ تكوين جيل كامل "طبقة مستنيرة" وهي التي سوف يعول عليها مهمة النهضة، والتحديث في المستقبل، فهناك عناصر متداخلة، ومتفاعلة، وجدلية، في مشروع طه حسين التحديثي، وهي عملية متكاملة من تحديث التعليم وتوحيده، إلى تحديث الدولة ومؤسساتها، ومسؤوليتها في تكوين العنصر المهم للمشروع، وهو "قادة الفكر"، أو "النخبة المستنيرة" ثم علاقة ذلك بولوج المجتمع الحديث أو العصرية.

هذه العملية الجدلية والمتواصلة تقوم على فعل التكوين والتجديد، وكلما اهتمت الدولة الرعاية بنوعية التعليم، وإصلاحه وتجديد محتوياته باستمرار وفق مقتضيات كل العصر، وتعميمه بشكل ديمقراطي، بحيث يضمن تكافؤ الفرص، كلما كانت الحاجة ماسة إلى تحديث المعارف والمحتويات في المدارس والجامعات، ومن ثم يكون تحديث الدولة ومؤسساتها تحصيل حاصل للعملية التربوية، وتتعزيز بنخبة مستنيرة قادرة على القيام والحفاظ على هذا المكسب. لتتحمل أعباء التحديث، والتطوير، والخروج من حالة الركود والتقليد، فالنخبة المستنيرة هي التي سوف تقوم بمهمة تقريب الفجوة الحضارية، بين ماضي المجتمع وحاضره، وبين حاضر هذا المجتمع، وعالم الغرب الحدائ المتطور والمتمدن.

وهنا نقف مع طه حسين الذي يريد أن يختصر المشهد والطريق، وأنه فهم معنى الحدائ، بأنها ليست حقبة، وإنما دينامية فقط تحتاج إلى نوع من التمرن، لغرض غرس ألياتها، اجراءاتها، ليدخل المجتمع في منظومتها، وكونه قد اطلع على طبيعة النظم الغربية في جوانبها السياسية، والتربوية الحديثة، رأى أن مجتمعه ليس بحاجة فقط إلى نظام مماثل حديث هكذا، دون توفير الشروط

اللازمة، وإنّما يتطلب تحديث نظم التعليم والتربية، بشكل يتماشى وهذه الدولة الحديثة، أي شرطية تكوين هذا الإنسان، الذي سوف يضطلع بمهام البناء والتحديث في كل الجوانب. والشرطية هنا تقول؛ إنّ كل تفكير في الحداثة، والتحديث، يحتاج إلى قيام الدولة الوطنية بتكوين مجتمع حديث، وتعليم حديث، وهو شرط الحداثة، وبما أن الدولة هي المسؤولة عن هذا الانتقال فهي مطالبة، بل ومن واجبها القيام بفعل التحديث التربوي، ومن ثم السياسي الديمقراطي، وكأني به طه حسين يوجه الخطاب لا إلى المرين، وإنما إلى الحكام بوصفهم رعاة عن الدولة الراعية للتربية. إنّ في رأي طه حسين إذا كان الاستقلال والدفاع عن الوطن هو ما ينشده الجميع، فإنّ ذلك يتطلب البحث عن الوسيلة الأرقى إلى ذلك، فإذا كانت الدولة تسعى لتكوين جيش قوي يزود عن الوطن مثل ما هي جيوش أوروبا الحديثة، فإنه يتعين عليها أن تبحث عن الطريقة التي جعلت جيوش أوروبا قوية، وليست إلا التربية والتعليم الحديث، هذه الشرطية التي يجعلها طه حسين ركيزة الانتقال الحضاري، وهو يدرك تماما أن التعليم وحداثته كفيل بحل عديد المشكلات التي يتخبط فيه العالم العربي ومنه مصر والعالم العربي.

ويستمر في وضع القرائن والبراهين على طرحه للشرطية المترابطة الأطراف في كيفية تحقيق حداثة متكاملة، فالأمر ذاته ينطبق على إذا كنا بحاجة إلى اقتصاد قوي ومستقل، مثل الاقتصاد الأوروبي، فإنّه يتطلب منا توفير الأسباب لذلك، ومنها التكوين والتعليم. ذلك أنه مقابل التعليم الجيد يكون تسيير الاقتصاد جيد، عندما تضطلع به النخب المتعلمة في أحسن المدارس والجامعات. وحتى يضع الجميع امام مصيرهم، فإنه يعتمد إلى حجاج واقعي يريد به وضع كماشة، لا مفر منها لخصومه، عندما يقول "إذا كنا نريد هذا الاستقلال العقلي، والنفسي الذي لا يكون إلا بالاستقلال العلمي، والأدبي، والفني، فنحن نريد وسائله بالطبع، ووسائله أن نتعلم كما يتعلم الأوروبي، لنشعر كما يشعر الأوروبي، ولنحكم كما يحكم الأوروبي ثم لنعمل كما يعمل الأوروبي، ونصرف الحياة كما يصرفها" (طه حسين، 1996)، ص 67، وبذلك يكون أي رفض لمشروعه خارج المسلمات الحاضرة مجرد عود على أبد.

والديمقراطية في مفهوم "طه حسين" ليست ملاذاً آمناً للأفراد عن طريق الشعارات، وإنّما يجب أن يكون خلفها تعليماً قوياً وحديثاً، ذلك أن الحديث عن الديمقراطية في مجتمع جاهل، وفوضوي، ليست الديمقراطية التي تكون على أساس من الأفراد المتعلمين والمستنيرين، والحاملين لفكرة البناء وليس الهدم.

وأهم ما يمكن أن يقدمه هذا التعليم للأفراد، هو معرفة ذواتهم، واكتشاف عقولهم التي بها يفكرون، ووضعهم الطبيعي، والحضاري، وانتمائهم، ووطنيتهم، بمعنى أنه يقدم لهم القاعدة العامة والأساسية التي على أساسها يمارسون الفعل الديمقراطي.

### 2-3 سيادة الدولة على التربية والتعليم:

المشروع الوطني التربوي الحدائي، يستدعي أن تقوم الدولة الوطنية بتكوين الفرد، وتعليمه، وكذلك صناعة المواطن العضو في المجتمع، وفق الطرح الذي يقدمه دوركايم (دوركايم إيميل (1996)، ص 76)، فليس التعليم فقط هو الغاية النهائية، ولكن كذلك عليه أن يعرف انتماءه الوطني، وأنه عضو من المجموعة الوطنية، وهي سابقة لوجوده، ومستمرة بعده، كما أنه مطالب بمعرفة تاريخ أمته، وحالها وأحوالها، ويشعر بأمالها، ويساهم في المحافظة عليها وتطويرها للأجيال المقبلة (طه حسين، (1996)، ص 68.67).

بهذا يرسم طه حسين لأول مرة في تاريخ الدولة العربية الحديثة، معالم قيام مجتمع على أسس حديثة، منتظمة، ولها دينامية، تحتاج فقط إلى الإرادة السياسية المدعومة بمجموعة من الأفراد المتطوعين لصالح الدولة للقيام بهذه المهمة النبيلة، والتي ستبقى لهم وساما طالما استمرت الدولة وفق النمط الذي هو عليه غي أوروبا.

وبالنسبة للتعليم الديني يرى طه حسين أن الدولة لها كامل المسؤولية في إقرار تعليم الدين، وهي مخيرة في ذلك إما أنها تُقرّه، ومن ثم يدرس في المدارس العمومية للجميع، أو تترك مهمته للأسرة، لأن الأسرة في حسبه أكثر أمانا لهذا النوع من التعليم، خاصة في حالة وجود تعدد الأديان داخل المجتمع، وإذا أرادت الدولة وضع التعليم الديني على الفكرة المدنية الدينية وضعت للتعليم الديني برامج بيداغوجية مدروسة وموحدة.

ثم أن الدولة حسب "طه حسين" لا تتوقف مسؤوليتها فقط عن التكوين العقلي والمعرفي والنفسي للطفل، ولكن هي كذلك عليها واجب رعايته جسديا من الأمراض والعلل، ومساعدته على النمو المتكامل بحيث لا يكون عرضة للاضطراب والمخاطر وهنا يظهر اطلاعه على النظريات الحديثة في علم النفس وعلم الاجتماع، من روسو إلى كانط، إلى دوركايم، وبياجيه، لذلك يدعو إلى إحاطة الطفل بتربية بدنية في التعليم الابتدائي خاصة، بما يضمن للأمة تربية وتكوين أجيال سليمة العقول والأجسام. (طه حسين، (1996)، ص 69). وبهذا يضع بصوغ البرنامج الأولي لتربية الأطفال في السنوات الأولى.

إن مهمة التعليم هي أصعب المهام التي ينبغي على الدولة أن توليها كامل طاقتها التدبيرية كونه يعتبر عصب المجتمع والمدخل لكل تغيير نحو الأفضل، وهو الشرط المناط الذي ينبغي عليها توفيره لتصبح دولة ذات سيادة سياسية والاستقلال في كل المناحي، والشرط الضروري لتفوقها، في السياق الحدائي، والمدني هو الديمقراطية.

وبذلك يرسم طه حسين جدلية العلاقة بين الدولة الوطنية، والنظام الديمقراطي والتعليم، كل واحد يكمل الآخر غير أن التعليم وطبيعته يقع في صميم العملية التحديثية، عندما يقول "أنا... أن النظام الديمقراطي يجب أن يكفل لأبناء الشعب جميعاً الحياة والحرية والسلام، وما أظن أن الديمقراطية تستطيع أن تكفل غرضاً من هذه الأغراض للشعب إذ قصرت في تعميم التعليم الأولي وأخذ الناس به جميعاً طوعاً أو كرهاً". (طه حسين، (1996)، ص 67) ومن ثم لا مندوحة عن التعليم لكل مشروع سياسي ديمقراطي فاعل.

ويجد أن الأرضية متوفرة لتطبيق هذا المشروع للأسباب التالية؛  
أولاً؛ حالة المجتمع المصري انذاك في اقليته من حيث الجهل والأمية لا يزالون في حالة جهل على أغليبتهم، لذلك سوف تساهم الديمقراطية بتعليمهم، على نحو مناسب لمبادئ الديمقراطية وتكافؤ الفرص.

ثانياً؛ هو أن الدولة لديها من الصلاحيات والقدرات على وضع المناهج، والبرامج، والإشراف على تنفيذها، وتتبع تطبيقها، وهو ما يوفر الجو الديمقراطي لها، حتى لا ينفلت التعليم عن المسار الذي رسم له، من حيث المبدأ والمخرجات.

وهناك عدة مبررات أخرى لإشرف الدولة على التعليم، من بينها تجنب التعليم فوضى البرامج، والتعدد اللغوي وتأثيره على ديمقراطية العملية التعليمية، ومن حيث تعدد التعليم الديني، ومن حيث المحتوى، وإعادة لممة هذا التشتت بتعليم موحد وديمقراطي بشكل متدرج (طه حسين، (1996)، ص 56).

### 3-3 نحو مدرسة عمومية:

لاحظ طه حسين، ذلك التعدد في أنواع التعليم التي يتعرض لها الناشئة، من التعليم الرسمي المدني، الذي تشرف عليه الدولة، والذي أفسده الإنجليز ببرامج تناسب اللغة والاهداف التي تناسبهم، وهناك أيضا التعليم الأجنبي الذي لا يخضع لضوابط وطنية، وهو غير معني بمصالح البلاد وأفرادها الوطنيين، كل ذلك يحدث فوضى، يجعل من عمومية المدرسة أمرا وطنيا وقوميا (طه حسين، (1996)، ص 54. 55).

إن هذا التعدد، والازدواجية في التعليم، والمناهج، والغايات، يثير التشوش والشتات على المتعلمين، وليس في خدمة الديمقراطية، وتكافؤ الفرص، حيث لاحظ أن هناك تعليم فرنسي ديني، وهناك تعليم فرنسي مدني، وهناك تعليم إيطالي ويوناني، وإنجليزي، وأمريكي، وألماني، كل هذه الأنواع من التعليم ليست في مصلحة مصر والإنسان المصري، ولكنها تخدم البلد الأصل فرنسا،

أمريكا ألمانيا، إيطاليا وما إلى ذلك، كما أنها لن تحدث (طه حسين، 1996)، ص 55) الفعل الحضاري، ولن تساهم في إنباء الوعي السياسي والوطني.

وبذلك يشير طه حسين إلى مسألة سوسولوجية وسيكولوجية، تتمثل في تأثير التعدد اللغوي داخل المجتمع الواحد، هذا التعدد له جوانب إيجابية ولكنه سلبي، له بالغ الأثر خاصة عندما يتعلق الأمر بفوضى لغوية بين المؤسسات التعليمية، وما تخرجه من أصحاب الشهادات، كل واحد يتكلم لغة مغايرة للآخر، ويفكر بشكل مختلف عن الآخر، وهنا يكون الأثر السلبي على الفرد والمجتمع، وعلى الدولة الوطنية، ودمقرطة التعليم، ناهيك عن القية ممن لا يمكنهم اللحاق بالتعليم.

كل هذه المبررات وأخرى كثيرة يفصلها ويوردها "طه حسين" في رسالته "مستقبل الثقافة في مصر"، منافحا عن ديمقراطية التعليم، وضرورة توحيد مناهجه البيداغوجية، وإشراف الدولة عليه، ولم يستثن من ذلك "الأزهر" الذي بقي مستقلاً في نشاط التعليمي، يقول عنه "وهناك تعليم آخر تشرف عليه الدولة ولا تشرف عليه، تشرف عليه لأنه خاضع في آخر الأمر لسلطانها، ولا تشرف عليه لأنه مستقل في حقيقة الأمر استقلالاً عظيماً، وهو التعليم الديني الذي يقوم عليه "الأزهر الشريف" (طه حسين، 1996)، ص 56-57).

وينتقد التعليم الأزهرى بشدة، كونه يمثل بالنسبة له العصور القديمة، والتفكير المتحجر، أكثر مما يمثل العصر الحديث، والتعليم الحديث، والإنسان الحديث. وتلك مسألة أخرى يواجهها طه حسين، نظراً لصعوبة تكييف وتغيير هذا النوع والنمط من التعليم، والامر يحتاج إلى أمد طويل لكي ليصل إلى مواءمة برامج مع البرامج الحديثة، التي تشرف عليها الدولة، ويصبح بذلك تعليمًا مدنيًا، وهو أمر صعب، بالنظر إلى تركيبة الأزهر وطبيعته الدينية الصرفة.

ونظراً لطبيعة تكوين الإنسان المصري، ومرجعياته الدينية فإن الأزهر يظل يمثل له المنقذ، السهل والبسيط، مقابل التعليم المدني، الذي يصنع الفرد المواطن، المنعم بقيم الديمقراطية، والعمل، والتواصل، والاتصال بقيم الحداثة.

وعليه يرجع "طه حسين" كامل الفضل في خلق نوع من الشعور الوطني، وتوحيده إلى التيار الحدائوي التنويري، الذي عمل على نشر الأفكار الجديدة، عبر الصحف والكتب والمقالات، كان لهؤلاء الفضل في إنقاذ التعليم في مصر، ويطلق على ذلك بالنهضة، هذه النهضة في رأيه، قد رفعت من قيمة مقروئية الصحف بين المصريين، وشرعت فئة ليست بالهينة في الاهتمام بالقراءة وإتباعها للكتب ذات المحتوى الحديث والتنويري، ولو لا ذلك لبقى التعليم تقليدي ومعتل لمشروع ولوج العصر الحديث وتمثله (طه حسين، 1996)، ص 57).

ويناقد "طه حسين" مسألة تعليم الدين بحنكة، وأسلوب فيه من الإقناع والحوار يجعل القارئ يختار من بين أحد الأمرين بكل قناعة، وهو ما يحيلنا على الثقافة الفلسفية الحجاجية التي اكتسبها من أساتذته في السربون، ومن خلال احتكاكه بالفلسفة والمناهج الحديثة، نجدد يقول مثلاً "من

غير المعقول أن يطلب إلى المصريين الآن أن يقيموا التعليم العام في بلادهم على أساس مدني خالص وأن يترك تعليم الدين للأسر". ففي هذا الخطاب الموجه إلى المثقفين والمحافظين المصريين وعامتهم نلاحظ أنه يخاطب مشاعرهم أكثر من عقولهم فعبارة (من غير المعقول) توجي إلى عدم تقبل المصريين في مرحلة أولى مسألة استخلاص تعليم الدين من التعليم العام.

وفي السياق ذاته يقول "فلا ينبغي إذا أن يكون هناك مصريون يتخرجون من المدارس المصرية وقد تعلموا الدين القومي، واللغة القومية، والتاريخ القومي، وآخرون يخرجون من المدارس الأجنبية وليس لهم من التعليم الديني حظ ما" (طه حسين، (1996)، ص 59)، ومن هنا يضع "طه حسين" القائمين على التعليم في موقف محرج؛ إما عدم تدريس الدين في التعليم العام وتركه للأسر، وإما تعميمه على كل المدارس الوطنية والأجنبية، ويصبح بذلك عملا بيداغوجيا وديمقراطيا في التعليم. وهو ما سوف يخلق نوع من الانسجام الاجتماعي بين الطبقات والأفراد. وتلك خصائص التفكير السليم، والمنطق الذي يتوجب دعمه، إذا ما أراد المجتمع التقدم، وإذا أرادت الدولة الوطنية ولوج العصر وفق المعطى الحاصل في أوروبا الحديثة. (طه حسين، (1996)، ص 59، 60).

#### 4- مسوغات المشروع ومآلاته:

وهذا يكون "طه حسين" قد رسم مشروعه التربوي والسياسي في الآن ذاته، الذي لقي اعتراضا شديدا ليس فقط من خصومه في الفكر، ولكن كذلك من الفئات ذات الثقافة العربية والمؤدجلة، بغض النظر عن إن كانت انتقادات موضوعية أم لا، فإن المشروع له ما يبرره بالنظر إلى حال الشعوب العربية الحضارية، ولم يقتصر الأمر عليه فقط، بل كل من اتجه الاتجاه الليبرالي، فهذا "خلدون حسن النقيب" ينتقد هذا الخيار بقوله "وإذا كان "طه حسين" ورجالته جيله من أمثال "علي عبد الرازق"، و"سلامة موسى" والتيار الليبرالي في سوريا ولبنان يمثلون الجديد، فإن هذا الجديد يمثل ثورة جعلت الأمور تقف على رأسها وليس على قدميها" (خلدون حسن النقيب (2005)، ص 45)، لأنها في نظره ثورة نقلت الوطن العربي من أصولية منهج دار العلوم، إلى تقليد أصولية المناهج الوضعية الغربية.

حيث أصبح العلم مقتصرًا على الفئة المفكرة، التي هي زبدة المجتمع، تنظر إلى الثقافة الغربية بوصفها أساس التقدم والرفق، وبذلك ازدحمت مناهج البكالوريا العربية بخليط هجين من التيارات التغريبية لإعادة تفسير التراث أو قراءته وفق أدوات الوضعية الغربية، هذه المناهج التي أعادت المعتزلة وإخوان الصفاء إلى الواجهة بمنظور مختلف، وشككت في مصداقية الشعر الجاهلي القديم، وقالوا بالعودة إلى المصدر في تراث الإغريق وأصبح الاهتمام منقطع النظير بمدارس الفكر الغربية من مثالية، ومادية، واشتراكية وقومية، ولعل هذا التوجه في رأيهم يتماشى مع تعريف التقدم

والترقي، أي اللحاق بركب الغرب وثقافته وليبراليته أو اشتراكيته، وقد شكلوا لهم أتباعاً وتلاميذ متفرقون وفق تلك التيارات القادمة من وراء البحار (خلدون حسن النقيب (2005)، ص 45) وهو موقف وتبعات لا يتحمل مسؤوليته طه حسين لوحده، ولكن أتباعه وخصومه في الآن ذاته، كونهم فقدوا بوصلة، طرق الانتقال الحضاري عن طريق التلاقح، ثم أن هناك عوامل سياسية تدخل في هذا الصدد.

إنّ " طه حسين" الأديب والمفكر المتميز، تأثر بالمدرسة الليبرالية، والعلمانية الفرنسية ليس بوصفها الملاذ الأخير للنجاة، ولكنها النموذج البشري الحاضر والجاهز على الأقل، ولما بحث المشكل الذي يحول دون تقدم العالم الذي ينتمي إليه، لاحظ أنّ النظام السياسي والتعليمي التقليدي هما السببان الرئيسيان، وهما الحل في الآن ذاته، وأنّه لا يمكن حسمه الخروج من هذا الازدواج والتقليد، إلا بفرض نظام تعليمي تقوده الدولة الوطنية، وترعاه وتوجهه، في سبيل ديمقراطية التعليم، وباعتماد المدرسة العمومية ومناهجها الحديثة، وهو طرح يحسب له، كونه ليس بعيداً عن الطرح الأنواري، والذي بدأ أنه لا يريد تضييع الوقت للحاق بالأنوار.

ثم أنّ " طه حسين" كان بعيد النظر في مشروعه التربوي، فهو لا يريد فقط تعليم حديث، وشكلي، وإنما تعليم تكون غايته تخريج قادة الفكر، والنخبة المستنيرة، التي تعطي الفعل الحدائي والتحديثي تلك الديناميكية التاريخية، والتواصلية، بين أجيال تتطور، وفي الآن ذاته تحدث التغيير الإيجابي داخل بني المجتمع، بما فيها النظام السياسي.

وفي هذا السياق يكون قد تأثر مباشرة بأساتذته ومعاصريه في جامعة السربون من إميل دوركايم، عالم الاجتماع وسان سيمون، وكوندورسيه، وما إلى ذلك، فالمجتمع العصري ينبغي أن يقوده النباه، الذين يمارسون العلم بمعناه الحديث وتطبيقاته في شتى المجالات. هؤلاء حسب علمهم أن يتسلموا هذه القيادة خلفاً للقيادات التقليدية للمجتمع الكلاسيكي، وهذا النمط من النظام والعيش لن يترسخ إلا بالديمقراطي، والنظام المدني وإتاحة الفرص.

وهو ما يؤكده بقوله "إنّ من أيسر الأمور وأشدّها ملاءمة لطبائع الأشياء في ظل الديمقراطية أن يرق أفراد من أشد أبناء الشعب فقراً إلى حيث يصبحون من صفوة الأمة ومدبري أمرها"، (طه حسين، (1996)، ص 199).

وهذا الطرح يكون طه حسين قد رسم داخل مشروعه التربوي والاجتماعي غاية سياسية، وهو ما يؤهله ليصبح مشروع حقيقي، في انتظار التجسيد، ورغم تأثره الشديد بالحالة المدنية الغربية، إلا أنه لا ينظر إليها بمنظور انتقاص، كون العالم الغربي، ولج التوليفة الحدائية لإنسانه، ونظامه التربوي والسياسي في إطار من المدنية.

وفعل الحدائية والتحديث هو إنباء من خلال التفكير العقلاني، وخلق دينامية نقدية إستمية بين السلطة والمثقف، وكلما اهتمت الدولة كسلطة بتحديث التربية والتعليم، انعكس الأمر على

تحديث الدولة في حد ذاتها، وعلى مؤسساتها، وعلى نخبتها، التي سوف يؤول إليها قيادة مؤسسات الدولة وعقلها المدبر، حيث تتحقق الديمقراطية السياسية، من خلال ديمقراطية التعليم والتربية. حيث يضع غاية التربية الأولى غرس الثقافة والعلم، ولكنه يرى أيضا أن لها دورا تأهيلي وحيوي في إكساب الفضائل المدنية، وخلق الظروف التي يمكن فيها لحكم ديمقراطي، أن يعيش، لذلك جاء القسم الأكبر من كتابه مستقبل الثقافة في مصر، عبارة عن نقد للتربية المصرية، ووضع برنامج تعليمي إصلاحي بديل وحدائي (ألبرت حوراني، 401).

#### 5- خاتمة :

السؤال الجوهرى الذي يؤرق طه حسين المفكر الناقد والاديب الثائر، هو كيف يمكن الانتقال من وضع تقليدي راكد الى وضع حدائى بالصورة التي شهدتها أوروبا مع المحافظة على سمات الخصوصية، رغم أنه في كثير من المحطات يحاول وضع مصر العربية في نفس المنحى الغربى، وهو ما جعله يتلقى عدة اعتراضات، غير أن طه حسين كان أكثر جرأة في طرح مسألة التعليم العربى، والتخلف، والتقليد، الذي يكتنفه، فكان مهموما من جهة أنه منتمى الى هذه الثقافة، ومثقف متشبع بالفكر الحدائى الغزير والمتجدد. فالطرح الذي يقدمه جاء في الوقت المناسب لكن الوسائل والواقع والارث الحضارى العربى كان له الثقل الكبير ليحول دون تغيير أو على الاقل المساهمة في بلورة رؤية تربوية ذات صدى عملي .

ولعل فكرة تكوين قادة مستنيرين هي فكرة خالصة لطله حسين عندما يقترح تخريج فئة من أبناء الأمة تحمل على عاتقها الفعل التغييرى، الحدائى المستمر، هذه النخبة من المجتمع المتشعبة بالفكر المستنير، والنقدي مهمتها هي نقل المجتمع من حالة إلى حالة.

من حالة الركود والتقليد إلى العقلانية والتنوير وهكذا، إلا أن هذه المهمة ليست من مهام الافراد، بل مهمة الدولة الوطنية التي على عاتقها حمل المشروع التربوي الديمقراطي الاجتماعى، وهي مهمة تحتاج إلى إرادة، وفعالية ووعي. وهنا تكون الفكرة تربوية وسياسية بالأساس، ولا يمكن فصل السياسى عن التربوي فالعملية متكاملة ما دام السياسى هو منتج تعليمى وتربوي، وبالتالي يؤسس طه حسين لنموذج الفاعلية الحدائى وليس التقليد.

\*\*

## 6- المصادر والمراجع:

- 1- طه حسين، (د.ت) مستقبل الثقافة في مصر، ط2، القاهرة، دار المعارف.
- 2- طه حسين، (1977)، في الأدب الجاهلي، ط12، القاهرة، دار المعارف.
- 3- صالح هاشم، (2010)، من الحدائث إلى العولمة، رحلة في الفكر الغربي وأثرها في الفكر العربي، الرياض، ط1، كتاب العربية.
- 4- علي خليل أبو العينين، (د.ت)، أصول الفكر التربوي الحديث بين الاتجاه الإسلامي والاتجاه التغريبي، القاهرة، دار الفكر العربي.
- 5- علي أومليل، (1985)، الإصلاحية العربية علي أومليل، ط1، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر.
- 6- محمد محمد حسين، (1984)، بيروت، الاتجاهات الوطنية، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الجزء 1 و2 ط7، مؤسسة الرسالة.
- 7- خلدون حسن النقيب، (2005)، التنمية والتنوير في تنمية المجتمع العربي، ط1، بيروت، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية.
- 8- ألبرت حوراني، (د.ت)، الفكر العربي في عصر النهضة (1898-1939)، (د.ت) بيروت دار النهار للنشر.
- 9- سعيد إسماعيل علي، (1987)، الفكر التربوي العربي الحديث، سلسلة عالم المعرفة رقم(113)، صدرت عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت.
- 10- طرابيشي جورج، (2010)، من النهضة إلى الردة تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة. بيروت، دار الساقى
- 11- دوركايم إيميل، (1996)، التربية والمجتمع، ترجمة علي أسعد وطفة، ط5 دمشق، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع.
- 12- Ghazzali Lahouri. Taha hussayn. (2021). Ed n1. Centre culturel du livre. Institut du monde Arabe. Casablanca.
- 13-Dominique Avon, Amin Elias(2021), L'identité nationale comme dépassement du confessionnalisme : L'Égypte selon Taha Hussayn dans ; <http://Hal. Science/hal-01339508>. P.6.7.
- 14- Magda El-Nowieemy (2016). Longing and belonging: An Egyptian cultural perspective of Mediterraneanism. Scientific culture. Vol. 2, no, 3, pp.11-15.